(٤٠)

بناء المعجم المدرسي

نقدم في هذا الموضوع ثلاث نقاط ترتبط ارتباطًا وثيقًا بإعداد المعاجم المدرسية وهي :

١- كلمة عن تاريخ المعجم العربي .

٢- نشأة المعاجم المدرسية .

٣- مصادر بناء المعاجم المدرسية .

أولاً : كلمة عن تاريخ المعجم العربي :

ترجع نشأة المعجم العربي إلى أكثر من ألف ومائتي سنة تقريبًا قبل أن يكون لأي لغة أوربية معجم ، كذلك فقد عرف العرب منذ ذلك التاريخ البحث العلمي في اللغة في مجال الأصوات اللغوية ، وفي مجال علم اللغة ـ بصفة عامة ـ أو ما كان يطلق عليه علم فقه اللغة "Philology" وأتى على رأس هؤلاء العلماء العرب «الخليل بن أحمد» المتوفى سنة ١٧٠هـ تقريبًا ؛ فقد وضع إلى جانب العروض التنظيم الأبجدي للمعجم ، وإن كان على أساس «صوتي» وقد سمي الخليل معجمه هذا «كتاب العين» ؛ لأنه اعتمد في بناء معجمه على الصوت الذي تبدأ به الكلمة ، والعين في رأي الخليل هو الصوت الأول الذي يتكون في الحلق وهو الصوت الأعمق من بين أصوات الحلق. لكن علماء الأصوات العرب المحدثين يرون أن صوت الهمزة هو

الصوت الأول الذي تبدأ به الأصوات العربية ، ويطلق عليه الآن « الوقفة الحنجرية » "Glottal stop" .

وقد كان علماء اللغة أيام الخليل ومن قبله مهتمين بجمع مفردات اللغة ، وقد اقتصر هذا الجمع على المفردات الصعبة المعاني لشرحها وتوضيحها ، وهي التي عُرِفت باسم الغريب ، وقد كان النظام الذي ساروا عليه في شرح الغريب مبنيًا على أساس الرسائل والكتيبات التي تعالج موضوعًا معينًا ، فمثلاً ألَّف الخليل كتاب المطر وكتاب النوادر وغيرها .

ويبدو أن الذي دعاهم إلى الاقتصار على الغريب هو أن هذا النوع من المفردات هو الذي كان يحتاج فقط ـ في نظرهم ـ إلى توضيح وتفسير ، أما المفردات الأخرى فقد كان من السهل على القارئ العادي أن يعرف معناها أو يستنتجه من سياق الكلام ؛ ولم يتبعوا في سرد المفردات في تلك الرسائل نظامًا معينًا وكان على القارئ أن يخمن موضع الكلمة ليعرف معناها أو يقرأ الكتاب كله ليقف على ضالته .

وقد أدرك الخليل من أول الأمر أنه لو أُلِّفت مئات من الكتب من ذلك الطراز لما أمكن حصر جميع مفردات اللغة ، ولما سلمت المسألة من التكرار .

وقد أمكن الخليل أن يحل هذه المشكلة ، ويخترع نظامًا من شأنه أن يحصر جميع المفردات مع عدم التكرار ويتلخص هذا النظام في أمرين هما :

١ - استنباط الأوجه الستة من الأصول الثلاثية بالترتيب التقليبي "Anagramatical order" فالجذر الثلاثي (ع ـ ل ـ م) يمكن أن نقلبه

بأن نبدأ بالعين أو اللام أو الميم ، وفي كل مرة تأتي صيغتان ٣ أصوات × ٢ = ٦ صيغ ، والشكل التالي يوضح ذلك :

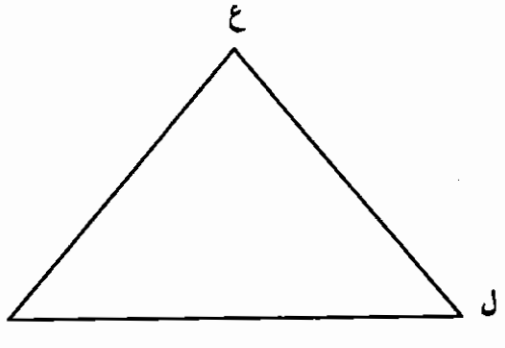

١- علم ، عمل . ٢- لمع ، لعم . ٣- معل ، ملع .

بالنظر إلى الأمثلة السابقة ترى أن بعضها مستخدم ، والبعض الآخر مهمل لا يستخدم .

٢- الاعتماد في بيان المستعمل والمهمل من الكلمات على ما يعرف باسم القوانين الصوتية ؛ إذ نجد أنه قسم الحروف الهجائية إلى مجموعات صوتية بدأها بحروف الحلق وختمها بالحروف الشفوية .

هذا وقد مرت صناعة المعاجم العربية بالمراحل الثلاثة الآتية :

١- مرحلة استخدام طريقة التقليب : "Anqrammatical order" وهي الطريقة التي ابتكرها الخليل وسار عليها من بعده «ابن دريد والأزهري والزبيدي وابن سيده» وغيرهم .

٢- مرحلة استخدام طريقة القافية ؛ وتعني تنظيم الكلمات حسب أواخرها، وقد سار عليها «الجوهري والفيروزبادي وابن منظور ، والزبيدي» وغيرهم .

٣- مرحلة الطريقة الأبجدية العادية ، وهي التي نُظِمَت فيها الكلمات حسب أولها وثانيها وثالثها ، وقد سار عليه إلى حد ما «ابن فارس» كما [illegible] ، والبستاني والشرتوني والأب لويس معلوف» .

ويهمنا في هذا السياق أن نشير إلى أن المداخل الثلاثة التي أشير إليها ، واستخدمت في المعاجم العربية ، قد قلدها الغرب تقليداً حرفيًا ، فظهرت معاجم اتبعت المدخل الصوتي ، ومعاجم أخرى اتبعت طريقة القافية وأخيراً ظهرت المعاجم التي اتبعت الطريقة الأبجدية العادية ؛ إذن يعود الفضل في نشأة المعجم الغربي إلى العرب وإلى الدراسات اللغوية التي برع فيها العلماء العرب منذ القرن الثاني الهجري .

ويهمنا في هذا السياق ـ أيضًا ـ أن نشير إلى أن المعاجم العربية التي ذكر مثال منها ، واتبع المداخل السابقة لم تعد صالحة للتعامل مع اللغة الحديثة ، وقد أجرى كاتب هذه السطور تجربة بسيطة دارت حول المفردات التي حواها القاموس المحيط «للفيروزبادي» ومدى استعمالها ، أو عدم استعمالها في اللغة العربية الحديثة ، وخلاصة هذه التجربة أن أخذنا مائة كلمة من مواقع مختلفة من القاموس ، فوجدنا أن حوالي ٧٠٪ من الكلمات التي اختيرت لم تعد صالحة ، وبالأحرى ماتت هذه الكلمات على ألسنة الناس وعلى أقلامهم وأصبحت تمثل عبئًا على قارئ مثل هذا المعجم ، وإذا كان حوالي ٧٠٪ من مفردات القاموس المحيط أصبحت غريبة حتى على المثقفين المتخصصين في اللغة العربية فإنها ـ بالأحرى ـ أكثر غرابة بالنسبة لغيرهم ، وبصفة خاصة طلاب المدارس .

لقد ذكر «إبراهيم بيومي مدكور» في مقدمة الطبعة الأولى للمعجم الوسيط ما يلي :

«للمعاجم فن يسير بسير الزمن ، وقد خطا خطوات فسيحة في القرنين الأخيرين ، وكانت له آثار واضحة في المعاجم الغربية بين إنجليزية وفرنسية وألمانية وروسية ، والمعجم العربي القديم على غزارة مدته وتنوع أساليبه أضحى لا يواجه تمامًا حاجة العصر ومقتضياته ؛ ففي شرحه غموض وفي

بعض تعاريفه خطأ وفي تبويبه لبس ، وأبى أصحاب المعاجم إلا أن يقفوا باللغة عند حدود زمانية ومكانية ضيقة فقدت كثيراً من معالم الحياة والتطور» .

وما المعاجم إلا أداة بحث ومرجع سهل المأخذ فينبغي أن يكون واضحًا دقيقًا مصورًا ما أمكن ، محكم التبويب ، ومعاجمنا العربية القديمة لا تتمشى - في منهجها - مع مبادئ فن المعجم الحديث ففي الرجوع إليها عناء ومشقة ، وفي عرضها حشو واستطراد .

ثانياً : نشأة المعاجم المدرسية :

لسببين اثنين ظهرت الحاجة إلى معاجم مدرسية تناسب المستويات اللغوية لتلاميذ المراحل التعليمية المختلفة بدءًا من المرحلة الابتدائية إلى المرحة الجامعية ، هذان السببان هما :

١- أن المعاجم القديمة لم تعد صالحة للاستخدام للأغراض التعليمية لطلاب المدارس والجامعات ، وقد حاول بعض اللغويين منذ أخريات القرن الماضي تدارك هذا النقص فوضع «البستاني» (محيط المحيط) «والشرتوني» (أقرب الموارد) والأب «لويس معلوف» (المنجد) .

٢- أن هناك طلبًا متزايدًا من قبل وزارات التربية والتعليم بضرورة إنشاء معجم خاصة لطلبة المدارس في مراحل التعليم المختلفة ؛ ومن الأمثلة على ذلك معجم «مختار الصحاح» الذي وضعه «الرازي» المتوفى عام ٧٨٠ هـ ، واختار له نظام الجوهري في الصحاح ، وهو الاعتماد على الحرف الأخير في المعجم ، وفي طليعة القرن العشرين اختارت وزارة المعارف المصرية هذا الكتاب ليكون معجمًا مدرسيًا فطبع طبعة خاصة بعد أن عدل ترتيبه من نظام القافية إلى النظام العادي المألوف .

وفي مثال آخر طلبت وزارة المعارف في مصر عام ١٩٣٦م من مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن يسعف العالم العربي بمعجم على خير نمط حديث بحيث

لا يقل في نظامه عن أحدث المعجمات الأجنبية ، فيجيء محكم الترتيب ، واضح الأسلوب ، سهل التناول ، مشتملاً على صور لكل ما يحتاج شرحه إلى تصوير ، وعلى مصطلحات العلوم والفنون وحتى ينتفع به طلاب العلم وييسر عليهم تحصيل اللغة وشاءت الوزارة ـ أيضًا ـ أن يضاف إليه ملحق بالمشهور من أعلام الأشخاص والأماكن ؛ وكأنها كانت تصوب إلى شيء شبيه بالمعجم الفرنسي المعروف باسم (لاروس الصغير) . وقد أغفل المجمع في هذا المعجم منذ البداية معجم الأعلام الذي أشرنا إليه ، وقصر همه على اللغة قديمها وحديثها ، وتوسع في المصطلحات العلمية الشائعة ، ودعا إلى الأخذ بما استقر من ألفاظ الحياة العامة ، وخطا في سبيل التجديد اللغوي خطوات واسعة ويشتمل المعجم الوسيط على نحو ٣٠,٠٠٠ ألف جملة وستمائة صورة في جزأين وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٦٠م .

وعن المعجم الوجيز الذي أعد خصيصًا لطلاب المدارس ذكر « إبراهيم بيومي مدكور» في مقدمة هذا المعجم : آن الأوان لإخراج معجم مدرسي وجيز يُكتَب بروح العصر ولغته ويتلاءم مع مراحل التعليم العام ، وقد دعت إليه وزارة المعارف عام ١٩٣٦م ، ورغبت في تحقيقه وزارة التربية والتعليم حديثًا لاسيما وأن معجم مختار الصحاح المتداول بين أيدي التلاميذ كُتِبَ في القرن الثامن الهجري وأصبح لا يفي بحاجة الطلاب ، ورحب المجمع منذ بضع سنوات بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم في هذا الشأن وكونت لجنة مشتركة لرسم الخطة وتحديد الهدف . وفي اختيار مفردات هذا المعجم حرص المجمع على اختيار الكلمات التي تتلاءم مع مراحل التعليم العام ، ولم يقف عند المادة اللغوية التقليدية ، بل أضاف إليها ما دعت إليه الضرورة من الألفاظ المولدة أو المحدثة أو المعربة الدخيلة وفتح الباب لألفاظ الحضارة والحياة العامة مما أقره المجمع وارتضاه الكتاب والأدباء ، وربط ـ بذلك ـ لغة القرن العشرين بلغة الجاهلية وصدر الإسلام ، وهدم الحدود الزمانية والمكانية التي أقيمت خطأ في طريق تطور اللغة ونموها .

وهذه محاولات أولية في بناء ما يسمى بالمعجم المدرسي وهي محاولات تركز أساسًا على تلخيص المعاجم الكبيرة ، أو تبسيطها ؛ أي أن الفرق بين صحاح الجوهري ـ مثلاً ـ ومختار الصحاح ليس اختلافًا في النوع ؛ وإنما هو اختلاف في عدد الكلمات التي قُدِّمَت في المعجم الأول ؛ حيث أنها كبيرة ، بينما عددها في مختار الصحاح قليل .

وعمومًا ، وفي حدود علمنا لا توجد في البلاد العربية ما يسمى بالمعجم المدرسي بالمعنى المعروف به في الأوساط اللغوية ؛ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى :

١- عدم وجود إحصاءات للمفردات في اللغة العربية أو بتعبير آخر لا توجد قائمة شاملة للمفردات في اللغة العربية يمكن الاعتماد عليها في تحديد المفردات الأكثر شيوعًا في اللغة العربية والمفردات الأقل شيوعًا بحيث يمكن الاعتماد عليها في اختيار المفردات الأكثر شيوعًا لتقدم في المرحلة الابتدائية ، فالإعدادية ، ثم الثانوية والجامعية .

٢- كما يرجع عدم وجود ما يسمى بالمعجم المدرسي في البلاد العربية إلى نقص الوعي بأهمية هذا النوع من المعاجم ؛ وقد أدى هذا إلى الاعتماد في تقديم المعاجم إلى الطلاب على المعاجم القديمة ، وفي أحسن الأحوال تقديم المعاجم الحديثة إلى الطلاب ، ومن الملفت للنظر أن هذه المعاجم الحديثة لم تستوعب جميع ما طرأ في اللغة العربية الحديثة من كلمات ومصطلحات وتعبيرات ، علاوة على ملء هذه المعاجم بكثير من الكلمات التي وردت في المعاجم القديمة ، وهي ـ في الغالب ـ نادرة ، أو مهملة ولا تستخدم في المواد التي يواجهها الطلاب سواء كانت مسموعة أم مقروءة .

وتعتبر قائمة «ثورنديك» الذي نشرها عام ١٩٢١م وبلغ عدد كلماتها ١٠,٠٠٠ كلمة بداية علمية حقيقية لثورة في تعليم اللغة الإنجليزية ،

ولتقعيد تدريسها في مراحل التعليم المختلفة ، وكان من أهم ما ترتب على قائمة « ثورنديك» من إسهامات :

١- بناء المعاجم المدرسية والمعاجم المتدرجة .

٢- بناء الكتب الدراسية في مراحل التعليم المختلفة .

٣- تقويم المواد التعليمية المقدمة إلى التلاميذ في المرحلة الأولى بصفة خاصة .

٤- بناء معادلات أو صيغ الانقرائية Readabiliy Formulas التي يمكن قياس مدى مقروئية مادة تعليمية ، أصعبة هي أم سهلة؟

لقد أُطلِق على قائمة « ثورنديك» كتاب المعلم "The Teacher's Word Book" وقد طُوِّرَت هذه القائمة فوصلت إلى ٢٠,٠٠٠ عام ١٩٣١م وفي عام ١٩٤٣م طُوِّرَت فوصلت إلى ٣٠,٠٠٠ كلمة وهذا التطور الأخير تم بالاشتراك مع « لورج Lorge» .

وقد وُجِدَت مجموعة من المعاجم المدرسية اعتمدت على قائمة « ثورنديك» ، سواء على مستوى مرحلة ما قبل الجامعة أم مستوى الجامعة ، وأيضًا وُجِدَت طبعة من المعجم الشهير « وبستر» Webster خاصة لطلاب الجامعة ، وقد جمع هذا المعجم الكلمات التي يحتاجها طلاب الجامعة علاوة على المصطلحات التي تستخدم في مختلف مجالات العلوم المختلفة .

لقد ذكر « وليم جراي William Gray» في كتابه عن مفردات القراءة « On their won in reading» أن المعجم المدرسي أصبح ضرورة لا بد منها في فهم معاني كثيرة تواجه التلاميذ في المواد المقروءة ، وتمتاز مثل هذه المعاجم ببساطتها وسهولة حملها ، واستخدامها ، ويؤدي المعجم المدرسي أدوارًا مهمة ، لعل من أخطرها نطق الكلمات ، وفهم معانيها ، ومعرفة مشتقاتها ، ومعرفة الهجاء الصحيح لها . . . إلخ . ولهذه الأهمية يرى « جراي» أنه لابد من تدريب التلاميذ منذ نعومة أظفارهم على استخدام المعاجم ، بل وبناء المعاجم الخاصة

بهم ـ وفي شكل بسيط ـ مثل أن يُوجَّه التلاميذ إلى تخصيص كراسة خاصة للمفردات وتُوزَّع صفحات هذه الكراسة على الأبجدية كلها ، ويساعد التلاميذ على أن يضع الكلمات الجديدة التي يواجهها فيما يقرأ في الصفحات الخاصة بالحرف الأول الذي تبدأ به هذه الكلمات الجديدة ، فإذا وجد التلميذ مثلاً كلمة «فنن» فإنها توضع في الصفحة أو صفحات حرف «الفاء» . . . وهكذا .

ومن المهم في معاجم الأطفال ـ بصفة خاصة ـ أن تكثر الصور ، والرسوم ، وأن تستخدم الألوان البهيجة ، والأوراق المصقولة ، والأشكال الفكاهية تجذب عادة الأطفال وتدفعهم إلى مزيد من القراءة .

نقول منذ عشرينيات القرن العشرين حين كوَّن «ثورنديك» عام ١٩٢١م قائمته بدأت حركة المعاجم المدرسية ، وانتشرت في جميع اللغات الحديثة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية . . . إلخ . وأصبح المعجم المدرسي ـ من ثَمَّ ـ جزء لا يتجزأ من الحركة العامة لبناء المعاجم أو علم بناء المعاجم "Lexicogrophy" .

ثالثًا : مصادر بناء المعاجم المدرسية :

أشارت البحوث والدراسات السابقة إلى أن مجرد جمع قوائم الكلمات من أحاديث الأطفال لا يكفي ـ في حد ذاته ـ لإعطاء صورة دقيقة عن قاموسهم اللغوي ، بحيث يمكن أن يُعتَمَد على هذا القاموس في تعليم القراءة والكتابة وفي تأليف كتب الأطفال التي يستخدمونها ، على العكس من ذلك ينبغي أن يشتمل معجم الأطفال في سن معينة على :

١- قوائم بأكثر الكلمات شيوعًا على ألسنة الأطفال مرتبة على حسب درجة شيوعها ، وأخرى بحسب الحروف الأبجدية وثالثة بحسب أنواع الكلام (أسماء ، أفعال ، حروف) ورابعة بحسب الموضوعات التي تشير إليها ؛ حيوانات ، أطعمة ، ملابس . . . إلخ ، وخامسة بحسب الصلة بين

اللهجة الدارجة ، واللهجة الفصحى ، إلى غير ذلك مما يُعين المعلمين والمؤلفين في الانتفاع بالمعجم .

٢- التراكيب التي يستخدمها الأطفال في سياق معين لتشير إلى معنى كلي معين ، والطفل ـ غالبًا ـ يستخدم التراكيب في موضوعها ككل ، ولكن لعله لا يعرف المقصود من كل كلمة بمفردها فالطفل ـ مثلاً ـ يستخدم «بسم الله الرحمن الرحيم» حين يبدأ تناول الطعام ، ولكنه ـ غالبًا ـ لا يعرف معنى كل كلمة على حدة ومن ثَمَّ فمن الخطأ أن تُذكَر كل منها منعزلة في المعجم ، وإنما تُذكَر العبارة كلها باعتبارها أسلوباً .

٣- مفاهيم الأطفال لكثير من الكلمات تختلف عن مفاهيم الكبار للكلمات نفسها ، كما أن الطفل قد يعرف معنى كلمة في سياق معين ، لكنه يجهل معنى هذه الكلمة نفسها في سياق آخر ، ومن أجل هذا فمن المضلل أن يُكتَفي في معجم الأطفال بذكر الكلمات خارج سياقها وإنما ينبغي أن يُذكَر المعنى الذي يفهمه الطفل لكل كلمة ، ولما كانت هذه المفاهيم والمعاني في تطور مستمر نتيجة لزيادة خبرات الأطفال يومًا بعد يوم فقد أصبح من اللازم أن يكون لكل مرحلة من مراحل العمر معجمها اللغوي الخاص بها .

٤- على أن معجم الأطفال لن يستوفي حقه من الكمال إلا إذا أُلحِق ببحث في خصائص لغة الأطفال في المرحلة التي وضع لها سواء من ناحية الاستخدام اللغوي للمفردات والتراكيب ، أم من ناحية الموضوعات التي يهتم بها الطفل في هذه المرحلة أم من الناحية النفسية والاجتماعية .

٥- ينبغي ألا يقتصر المعجم على المفردات والتراكيب المستخدمة في القراءة والكتابة وحدهما ؛ وإنما يُتنَاول المفردات التي تناسب الطفل ، وتستخدم في مواد الدراسة الأخرى وبخاصة في الفرق الأعلى كمصطلحات الرياضيات والعلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية وغيرها وبذلك يكون مرجعًا شاملاً .

علاوة على ما سبق ينبغي أن يشتمل المعجم المدرسي على أمور أربعة أساسية هي :

١- اشتقاق الكلمة وتصريفها .

٢- ضبط الكلمة ومشتقاتها .

٣- كتابة الكلمات كتابة صحيحة هجائية .

٤- المعاني المختلفة للكلمة في سياقها المتنوع .

وفي النهاية نقدم بعض المعاجم الخاصة في مراحل التعليم المختلفة ، ذُكِرت في كتاب معجم المعجمات العربية تأليف «وجدي رزق غالي» الطبعة الأولى مكتبة لبنان ١٩٩٣م :

١- معجم الطالب في المألوف من اللغة العربية . «جرجس همام الشورى» ١٩٠٧م .

٢- المنجد . «لويس معلوف اليسوعي ١٩٠٨م» .

٣- منجد الطلاب . «حسين عبد اللطيف عزام ١٩٤١م» .

٤- المعجم المدرسي . «زيد العابدين التونسي ١٩٤٧م» .

٥- رائد الطلاب . «جبران مسعود ١٩٦٧م» .

٦- المنجد الإعدادي . «أسامة الطيب ١٩٦٩م».

٧- المنجد الأبجدي . «أسامة الطيب ١٩٦٨م» .

٨- المعجم الوجيز . «مجمع اللغة العربية ١٩٨٠م» .

٩- القاموس الجديد للطلاب . «علي بن هادية ١٩٨٣م».

١٠- القاموس المدرسي . «الجيلائي بن الحاج يحيى وعلي بن هادية ١٩٨٤م».

معجم الطلاب . «محمود إسماعيل صيني وحيمور حسن يوسف ١٩٩١م».

* * *